الفصل الأول

تعريف علم الجغرافية

دون العلماء الأوائل مايوحي بعلم الجغرافية في كتب علم الفلك، فالإنسان منذ الأزل كان يتنقل، لذا كان يكتب مايعرفه عن ظواهر الأرض من جبال وأنهار وبحار ونبات وحيوان ومعادن وغيرها ولاشك أن هذه المعلومات تعتبر من أهم مكونات علم الجغرافية.

الجغرافية كلمة يونانية تتكون من مقطعين هما:

جيو (Geo) ومعناه أرض، وغرافية (Grophia) ومعناه وصف، وبهذا تتألف كلمة جغرافية.

اتفق على تقسيم علم الجغرافية عبر العصور إلى ثلاثة أقسام رئيسية، وقد يتفرع منه عدة فروع كما هو الحال في العصر الحديث، فأقسام الجغرافية الثلاثة هي:

١ ـ الجغرافية الطبيعية وتهتم كثيرا بطبيعة الأرض من حيث البنية الجيولوجية والظواهر الميتورلوجية والمحصولات النباتية والحيوانية.

٢ ـ الجغرافية الفلكية وتتولى شكل الأرض وحجمها وحركتها وكرويتها وعلاقتها بالكواكب الأخرى وغيرها.

٣ ـ الجغرافية السياسية وتبحث عن أقطار الأرض من حيث حدودها السياسية وعن السكان من حيث العدد والحياة الاجتماعية.

كما أيد حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) أن الجغرافية كلمة يونانية، فقد ذكر أن علم الجغرافية كلمة يونانية بمعنى صورة الأرض، وهو علم يتعرف منه على أحوال الأقاليم السبعة الواقعة في الربع المسكون من كرة الأرض، وكذلك عروض وأطوال البلدان الواقعة فيها، وأيضا عدد المدن والجبال والبحار والأنهار والبراري إلى غير ذلك.

والمتعارف عليه بين المؤرخين لتاريخ العلوم أن أول من كتب في موضوع علم الجغرافية كتابة علمية بطليموس القلوذي. فقد كتب كتابه الجغرافيا علاوة على ماورد في كتابه المجسطي من معلومات جغرافية قيمة وخاصة في فرع الجغرافية الفلكية.

وكلمة جغرافية في اللغة العربية تعتبر حديثة بعض الشيء، حيث إن علماء العرب والمسلمين كانوا يستعملون (صورة الأرض) أو (قطع الأرض) أو (خريطة العالم والأقاليم) أو (المسالك والممالك) أو (تقويم البلدان) أو (علم الطرق) وغيرها.

لقد كانت النظريات الجغرافية متقدمة نوعا ما عند اليونان، لذا نجد أنهم يعللون وجود الأصداف والقواقع البحرية في الأرض اليابسة البعيدة عن البحر، أنها كانت في الأزل بحرا ثم تحولت أرضا، وذلك بسبب حرارة الشمس التي قلصت مساحة البحر وهناك آراء أخرى جريئة في هذا الموضوع مما يدل على طول باعهم في هذا الحقل.

ومما لايقبل الجدل والتأويل أن علماء العرب والمسلمين في مجال علم الجغرافية تأثروا تماما في جغرافية لمارينوس الصوري (٧٠-١٣٠ميلادية)، وماوراء الطبيعية لأرسطوطاليس كان لهما مردودا نافعا لعلماء العرب والمسلمين المهتمين في ميدان علم الجغرافية.

لقد كان لدى علماء العرب والمسلمين الأوائل في علم الجغرافية قبولا لآراء ونظريات علماء اليونان أكثر من آراء ونظريات الشعوب الأخرى مثل الفرس والهنود وغيرهما. فمثلا فضلوا نظام الأقاليم عند اليونان عن نظام الكشورات الفارسية، ولذا نرى نظام الأقاليم أكثر شيوعا في مؤلفات علماء العرب والمسلمين في هذا الحقل.

لقد صحح علماء العرب والمسلمين في علم الجغرافية كثيرا من الأغلاط في نظريات بطليموس مثل مبالغة بطليموس في تحديد طول البحر الأبيض المتوسط وامتداد الجزء المعمور من الأرض، وكذلك تصوره خطأ بأن كل من المحيط الهندي والمحيط الهادي بحيرة مغلقة، وغلطه في تعيين موقع بحر قزوين والخليج العربي، وتحديد حجم جزيرة سيرلانكا (سيلان).

نعم تفوق علماء العرب والمسلمين في علم الجغرافية على كل علماء العالم في تقديم معلومات صحيحة عن الصين والقارة الأفريقية. مما دفع علماء الغرب خلال العصور الوسطى أن يتلقوا معلوماتهم عن أفريقية والصين من المصادر العربية، لأنهم كانوا يجهلونها تماما.